من اسرار العربية

تعليل بناء الكلمات الفصيحة

بالنحت والزيادة

لاسماعيل مظهر

يحملني على متابعة البحث في هذا الباب حاجة اللغة العربية في الطور الشوكي الذي تجتازه الآن الى مجاراة اللغات الاخرى في صوغ الالفاظ العلمية وأسماء طبقات الحيوان والنبات. فقد دلتني التجربة الطويلة وطول الاكباب والتبصر على ان الاشتقاق القياسي وحده لا يواتينا بالعُدة التي نستكن بها من صوغ كل ما نحتاج اليه من الأسماء، كما دلتني على ان هذا الاشتقاق القياسي نفسه لم يوات العرب في عصر ازدهارهم وفي عصر جاهليتهم، بالمادة التي تمكنهم في صوغ الالفاظ الدالة على مختلف المعاني التي أرادوا التعبير عنها بكلمات عربية قياسية البناء، فلجأوا الى أساليب منها ما سميتهُ أسلوب « الاقتباس » (أنظر محاضرتي في المؤتمر التاسع للمجمع المصري للثقافة العلمية) ومنها التعريب، ومنها زيادة الحروف على الأصول، ومنها النحت. وقد فصلت ذلك جيداً في محاضرتي السالفة بعنوان « اللغة العربية لغة علمية: قدرة اللغة العربية على صوغ الاسماء والمصطلحات العلمية عامة وتصنيف عالم الحيوان خاصة ». فلا حاجة بي الى تكرار ما سبق ان فصلتهُ في موضع آخر. وانما أريد ان أقول ان جميع الذين بحثوا في النحت قد لزموا في بحوثهم ما ورد في كتب القدماء وأخصها ما جمع السيوطي في كتابه « المزهر ». أما بحثي هذا فطريف إذ أحاول ان أثبت فيه رأي ابن فارس في ان النحت كثير في اللغة العربية، وهو الرأي السديد الذي أنكره عليه الجامدون، وذهبوا الى القول بأن اللغة العربية لغة اشتقاق لا لغة نحت، بدون تبصر في أسرار هذه اللغة الكبرى. وسأتتبع البحث في كلمات فصيحة لأثبت أنها منحوتة او أنها مصوغة بطريق زيادة الحروف على الأصول لافادة معنى يزيد في معنى اللفظ قبل الزيادة عليه. فاذا ثبت ذلك كان لنا ان نجري على ما جرى عليه العرب، فنفتح في العربية أبواباً مغلقة تطلعنا على آفاق لا نهاية الاتساع تجتليها اللغة العربية لذات العالم قاطبة

الخَيْتُورُ : لفظ منحوت من لفظين هما : خَتَعَ (١) خَتَرَ

خَتَعَ (ل ٤١٤ : ٩) المصدر الخَتْعُ والخَتَوع

(١) في الارض : ذهب وانطلق (٢) الدبر : سار بهم ثبت انطلقة على القصد (٣) رجل : خُتَعٌ وخَتِيعٌ وخَتُوعٌ : حاذق بالدلالة سير بها ، وخَتْعَةٌ وخُتَعٌ : السريع المشي ، الدليل ، (٤) الخَوْتَع : الدليل أيضاً (٥) استختع : في الارض ابتدأ (٦) خَتَعَ على القوم : هَجَمَ (٧) خَتَع : الفحل خلف الابل : اذا قارب في مشيه (٨) ختوع السراب : اضمحلالهُ (٩) الخوتع : ضرب من الذباب كبار (١٠) الخوتع : ذباب الكلب ، وذباب ازرق يكون في العشب (١١) الخَتْعَة : المرة الاتي (١٢) الخُتَع : من اسماء الضبع (١٣) الخَتِعة : حَتَّة من أدم يغشي بها الراعي ايهامه لرمي السهام (١٤) الخِتاع : الدسيانات: مثل ما يكون لأصحاب الزناة (١٥) الخَوتع : ولد الارنب

خَتَرَ (ل : ٣١٠ : ٥)

(١) الخَتْرُ : شبه بالغدر ، وقيل هو الخديعة ، وقيل هو أسوأ الغدر وأقبحه (٢) الغدر (٣) خيتور : خَتور : غادرٌ (٤) الفساد : يكون ذلك في الغدر وغيره (٥) خَثَرَ السراب : اذا فسد بنفسه وتركه مسترخياً (٦) الخَتْرُ : الحذر (٧) التخثر : التغير والاسترخاء (٨) خثرت نفسه : أي خبثت وتخثرت : خبثت أي استرخت

الخيتور (ل : ٣١١ : ٥)

(١) السراب ، وقيل هو ما يبقى من السراب ؛ ولا يلبث ان يضمحل ، هو ما يبقى من آخر السراب حين يتفرق فلا يلبث ان يضمحل (٢) خَثْثَرة : السراب اضمحلاله (٣) ما ينزل من الهواء في شدة الحر ابيض كالخيوط او كنسيج العنكبوت (٤) الغادر (٥) الدنيا : على المثل (٦) وقيل : الذئب : سمي بذلك لانهُ لا عهد لهُ ولا وفاء (٧) الغول : لتلونها (٨) امرأة خيتور : لا يدوم ودها : مشبهة بذلك (٩) كل شيء يتلون : لا يدوم على حال (١٠) السلطان (١١) دويبة سوداء تكون على وجه الماء لا تلبث ان توسع الا ريثما تطرف (١٢) الداهية (١٣) نوى خيتور : لا تدوم (١٤) كل من يضمحل ولا يدوم على حالة واحدة (١٥) او لا يكون له حقيقة : كالسراب ونحوه : والياء فيه زائدة

تبيان ذلك ان الخيتور :

١ — السراب ، ما تبقى من السراب لا يلبث أن يضمحل ، ما يبقى من آخر السراب حين يتفرق فلا يلبث ان يضمحل ، خثرة السراب : اضمحلاله ، وخَتَع : ختوع السراب : اضمحلاله ، وخَتَع في الارض : ذهب وانطلق : وهذه من صفات السراب) ، والدليل سار بهم

تحت الظلمة على القصد (والسراب ضرب من السير والتبدد) ، وخُتْع وخَتِيع وخَوْتَع : رجل حاذق بالدلالة ماهر بها ، خُتْتَعَةٌ وخُتَّع : السريع المشي الذليل (ومن صفات السراب المشي والتثاقل) ، الخوتع الذليل ، المختع في الارض أبعد (والسراب كما أقبلت عليه أبعد) ، خَتَع الفحل خلف الابل : اذا قارب في مشيه (والسراب كما لاح لك انهُ قريب قاربتَ في مشيك اليه ، اي جعلت خطاك متقاربة سريعة) ، ومن خَتَر : خَتَرهُ الشراب : اذا فسد بنفسه وتركه مسترخياً ، والختر: الحدر، والختر الفتر والاسترخاء (وجميع هذه المعاني فيها معنى الاضمحلال كاضمحلال السراب وختره)

٢ — ودوية سوداء تكون على وجه الماء لا تلبث في موضع الا ريثما تطرف ، ومن ختع : الخوتع ذباب الكلب ، وذباب أزرق يكون في العشب ، وضرب من الذباب كبار (وفي ذلك من تقارب الدلالة ما فيه)

٣ — والذئب سمي بذلك لانهُ لاعهد له ولا وفاء ، ومن خَتَع : الخَتَعة المرة الانثى ، والخَتَع من اسماء الضبع ، والخَوتع : ولد الأرنب (وفي ذلك من تقارب الدلالة ما فيه)

٤ — والغادر ، والدنيا (لان من صفاتها الغدر والتحول) وقيل الغول لتلونها ، امرأة لا يدوم ودها ، كل شيء يتلون ولا يدوم على حال ، السلطان (لان من صفاته التحول) ، نوى لا تستقيم ، كل من يضمحل ولا يدوم على حالة واحدة ، او لا يكون له حقيقة كالسراب ونحوه، ومن خَتَر : الخَتْر : شبه بالغدر وقيل هو الخديعة ، وقيل هو أسوأ الغدر وأقبحه، الغدر ، خَتِير وخَتور غادر ، الفساد : يكون ذلك في الغدر وغيره ، خترت نفسه: خبثت ، تخترت : استرخت (وفي هذا كله من صفات السراب شيء كثير ، فالخديعة والغدر والفساد هو تفرق السراب وتبدده ، والاسترخاء فيه من الاضمحلال مكان)

وتأويل ذلك : ان الختور لفظ منحوت من لفظين هما خَتَع وخَتَر ، أخذ منهما اولاً فعل رباعي هو « خَتْعر » اجتمعت في دلالته معان من اللفظين ، والبرهان على ذلك قوله « خترة السراب: اضمحلاله . والخترة مصدر رباعي كالدحرجة، فلا بد من ان يكون له فعل أُخذ منهُ، ثم قيل الخَتور وزان فَعول او خُتور وزان فُعول »، ثم زيدت الياء فكان الخيتور، أما الفعل خَتْعَرَ والاسم الخَتعور أو « الخُتور » فقد أميتا بالاغفال

***

صَلْخَدٌ : لفظ منحوت من لفظين هما : صَلْدٌ (و) صَخْدٌ

صلدٌ (ل ٢٤٤ : ٤)

(١) حجر صلد وصلود بين الصلادة والصلود : صلب أملس والجمع اصلادٌ (٢) حجر صلدٌ

وجبين صلد : أملس يابس (٣) الصيلد والصلداءة : الأرض الغليظة الصلبة (٤) أصلاد جبين الموضع الذي لا سمر عليه ، شبه بالحجر الأملس ، وجبين صلد ورأس صلد ورأس صلادم ، كصلد ، وحافر صلد وصلادم (٥) مكان صلد : لا ينبت ، صلب شديد (٦) امرأة صلود : قليلة الخير وقيل صلبة لا رحمة في فؤادها (٧) رجل صلد وصلود وأصلد : بخيل جداً (٨) مُر صلود : غلب جبلها فاستمت على حافرها (٩) فرس صلود بطيء الانضاح ، قليل الماء . وقيل هو البطيء العرق (١٠) أصلد : صوّت ولم يور ، وقدح فلان فأصلد (١١) حجر صلد وصلود لا يوري (١٢) صَلِيدَ الزند يصلَد صلوداً : اذا صوّت ولم يخرج ناراً (١٣) صَلَد المسؤول السائل اذا لم يعطه شيئاً (١٤) صَلَدَت أبا به فهي صالدة وصوالد : اذا سمع صوت صريفها (١٥) صَلَدَ الوصيل يصلد صلداً فهو صلود : ترقى في الجبل (١٦) صَلَدَ الرجل يديه : صفق (١٧) صلدت صلة الرجل : إذا رقت

صخدٌ (ل ٢٣١ : ٤)

(١) الصَّخْدُ : صوت الهام والصُّرَد (٢) الصُّيْخُدُ عين الشمس سميّ بها لشدة حرها (٣) حر صاخد شديد (٤) الاصخاد واصخدان شدة الحر . ويوم صاخد وصخود وصيخد وصخدان ، وليلة صخداء (٥) صَخَدَتْهُ الشمس تصخَده صخداً : أصابته وأحرقته او حميت عليه (٦) صَخَدان الحر وصخْدانه : شدته (٧) الصاخد الهاجرة ، وساجرة صيخود : متقدة (٨) أصخد أخرباء : تعلّى بحر الشمس (٩) صخرة صخود : صماء راسية شديدة (١٠) الصيخود : الصخرة الصماء الصلبة لا تحرك من مكانها ولا يعمل فيها الحديد ، والصخرة العظيمة التي لا يرفعها شيء ولا يأخذ فيها مِنقار ولا شيء ، وهي الصلبة التي يشتد حرها اذا حميت عليها الشمس ، والياء زائدة (١١) صَخَد فلان الى فلان يصخَد صخوداً : اذا استمع منه ومال اليه فهو صاخد

صَلْخَدٌ : الصَّلْخَدُ والصَّلْخَد والصُّلخد والصلاخدُ والصَّلخاد والصُّلخدى : كله الجمل المسن الشديد الطويل ، وقيل هو الماضي من الابل . صَلْخَدَّى (بالتنوين) الفحل الشديد والانثى صلخداة وصيلخود . الصَّلْخَيدُ المنتصب القائم . أصلخد اصلخداداً : اذا انتصب قائماً : الصلخدي : القوي الشديد مثل الصلخدم (الياء والميم زائدتان)

فأنت ترى ان جميع المعاني التي انحصرت في هذا اللفظ تدل على القوة والشدة والانتصاب والقيام وفيها من الشدة معان ومن القوة مناسبة . فاذا كان من معانيه (الجمل) فقد قيد بأنه المسن الطويل ، واذا كان من معانيه « الفحل » فقد نصّ على انه الشديد ، ويجب ان نعي ايضاً ان من صيغ هذا اللفظ ما يدل على القوة والشدة مثل الصلخدى والصلخدم اما اذا رجعت

الى معاني صلد وصخد فانت واقع في كليهما على ما يفيد الشدة كل الشدة والى القوة كل القوة :

وانت ترى ايضاً ان معاني الشدة والقوة واليأس والصلابة قد اجتمعت في مدلول الكلمات الثلاث؛ وهي تكاد تنطق بأن صلخد منحوت من صلد وصخد على ان العرب لم يقفوا عند ذلك، فان اللفظ وان كان منحوتاً ، فانهم لم يمتنعوا عن زيادة مبناه بزيادة مبناه فزادوا عليه الباء فقالوا صلخدي والميم فقالوا صلخدم ، والباء والواو فقالوا صلخود والالف فقالوا الصُّلاخد والصَّلخاد . وهذا منتهى ما تصل اليه لغة من المطاوعة في صياغة الالفاظ . وفي هذا لا تزال اللغة العربية لغة اخرى على الاطلاق

***

جَلْمَدٌ : جُلْمُودٌ : لفظ منحوت من لفظين هما جَلَدَ (و) جَمَدَ جلد (ل : ٩٦ : ٤)

الجلدُ : الغليظ من الارض ، والارض الصلبة وكذلك الأجلد ، وفي حديث الهجرة حتى اذا كنا بأرض جَلَدَةٍ أي صلبة ، ومنهُ حديث سُراقة وحلي فرسي وأني لفي ارض جَلَدَةٍ : صلبة مستوية المتن غليظة ، والجلادُ من النخل : الكبار الصلاب ، ناقة جلدة : الصلبة الشديدة الجليد : ما جمد من الماء وسقط على الارض من الصقيع فجمد ، والجَلَدُ من النعم والابل : التي لا اولاد لها

جمد (ل ١٠٣ : ٤)

وشاة جَمادٌ : لا لبن لها ، وسنة جمادٌ لا مطر فيها ، سنة جامدة لا كلأ فيها ولا خصب ولا مطر ، ناقة جماد : لا لبن لها ، ارض جماد يابسة ، لم يصبها مطر ولا شيء فيها ، الجُمْدُ والجُمُدُ والجَمَدُ ما ارتفع من الارض والجُمْدُ والجُمُدُ كان صلب مرتفع الجُمُد قارة ليست بطويلة في السماء وهي غليظة تغلظ مرة وتلين اخرى تنبت الشجر ، سميت جُمُداً من جمودها اي من يبسها ، والجُمُد أصغر الاكام

جُلْمُودٌ : جَلْمَدٌ (ل ١٠٢ : ٤)

(١) الصخر ، الصخرة (٢) أصغر من الجندل : قدر ما يرمي بالقذّاف (٣) الجلامد : كالجداول (٤) ارض جَلْمَدَةٌ : حَجِرَةٌ (٥) الجلمود : مثل رأس الجدي نحملهُ بيدك قابضاً على عرضه ولا يلتقي عليه كفاك جيداً ، يدقُّ به النوى (٦) الجِلْمِيدُ : اتان الضحل : وهي الصخرة التي تكون في الماء القليل (٧) رجل جَلْمَد وجُلْمد : شديد الصوت (٨) الجَلْمَدُ : القطيع الضخم من الابل ، والابل الكثيرة والبقر (٩) ضأن جَلْمَدٌ : تزيد على المائة (١٠) التي عليه جلاميده : أي نبقله (١١) الجَلْمَدَةُ : البقرة

وانت ترى ان معاني هذه الالفاظ الثلاثة قد بلغت من الاشتراك مبلغاً لا يترك مجالاً لريب في انها جميعاً ترتبط بأواصر ترجع الى اصولها ؛ فالجلد والجلد من ستة أحرف اربعة مشتركة واثنان نابيان ، والجلمد اربعة احرف يمكن ان تستخرج منها الاحرف الستة المكونة للفظين ، وما الجلمود الاّ الجلمد ، زيد اليه الواو . وفي ذلك من تقارب المعنى بتشارك الحروف ما فيه من دلالة على ان لهذه اللغة العربية سرًّا مكنوناً يمكننا ان نستخرج بعضه بطول الاكباب على درس تاريخ نشوء الكلمات بالنحت والزيادة

وأنت ترى فوق ذلك ان في جلمود وجلمد معنى الصخر والجندل والشدة والصلابة وفي الجلَد الارض الغليظة الصلبة ، والجلاَد من النخل الكبار الصلاب ، وفي الجَسَد ما ارتفع من الارض ، والجُسُد مكان صلب مرتفع . ثم عود الى الجلمد فتجده القطيع الضخم من الابل ، والبقر ، والضأن تزيد على المائة ، فدلت من الحيوان على كمية ، ونجد ان الجَلَد من الغنم والابل : التي لا اولاد لها والناقة الجَلَدة : الصلبة الشديدة فدلت من الحيوان على صفات ، وفي الجَسَد شاة جماد : لا لبن لها ، فدلت على صفة من الحيوان ، وسنة جماد لا مطر فيها : فدلت على صفة في الزمان ، بينها وبين الصفة التي دلت عليها في الحيوان آصرة وعلاقة . فهل كان جميع ذلك خبط عشواء وظهر الغيب . كلاّ وانما كان بالنحت . ولا نقصد بالنحت ان العربي كان يكتب اللفظين « جمد — جلد » ويصوغ منهما « جلمد وجلمود » ، وانما هي معاني اللفظين تنهالت في حفيظته مقرونة بهما ، فيجري على لسانه لفظ مصوغ منهما ، حاملاً من المعنى ما اريد به الدلالة عليه بحيث لا تغيب دلالة اللفظ المنحوت عن علاقة ما بدلالة الالفاظ الاصلية . ولهذا نقول آمنين الضار ان اللغة العربية في بنائها لغة نحت وزيادة ، كما هي لغة اشتقاق ، وان اتخاذ النحت والزيادة اصلين للوضع امر لا تغيب عنه خليقة اللغة ، ولا يدل الاّ على ان اللغة العربية اوسع اللغات موارد وأعظمها اصولاً وأقدرها على الوضع وأكثرها طواعية وأمرنها على التوسع والامتداد

***

خَتْلَع : لفظ منحوت من لفظين هما : خَتَعَ وتَلَعَ

خَتْلَعَ الرَّجل : خرج الى البدو

وختع : في الارض : ذهب وانطلق ، الدليل : سار بهم تحت الظلمة على القصد ، خَتَّع وخَتِيع وخوتع : رجل حاذق بالدلالة ماهر بها ، وخَتَعْتَعَة وخَتَّع : السريع المشي الدليل ، الخوتع الدليل ، اختع في الارض : أبعد

تلع : النهار وتلع ارتفع ، وتلعت الضحى انبسطت ، وتلع الظبي والثور من كناسه أخرج رأسه وسما بجيده ، وأتلع رأسه أطلعه ، وتلع الرجل رأسه أخرجها من شيء كان فيه ، أتلع رأسه اذا أطلع ، وتلع الرأس نفسه . تلع : مد عنقه للقيام . التلع التقدم

وتأويل ذلك :

ان تتلع فعل منحوت من لفظين هما تتع وتلع : فتع تلع كل معاني الخروج والبروز والتقدم نحو شيء او غرض ، وغاية التلع وهو مد العنق للقيام ، فيه معنى العزم والتحفز ، وفي تتع معنى الذهاب والانطلاق ومعنى السير تحت الظلمة بارشاد دليل ، والمربع المشي تتعة وتتع والاختباع في الارض : الابتعاد فيها . والختلة الخروج إلى البدو ، وهو عمل فيه كل المعاني المشتركة في تتع وتلع : فالخروج الى البدو لا يكون الا من حضر ، وهذا يقتضي التطلع وأعمال الفكر ، ثم التلع وهو مد العنق للقيام والتقدم ، ثم التتع او الختوع وهو الذهاب والانطلاق والسير تحت الظلمة او في وضح النهار ، والاختباع وهو الابتعاد في الارض

***

الجادلة : كلمة منحوتة بنص لسان العرب :

انظر مادة جمد : ل ١٠٤ : ٤ سطر ١٧ حيث يقول ويقال للبخيل جادلة أي ما زال « جامد الحال » : قال المتلمس

جادلها جمادِ ولا تقولن طوال الدهر ما ذكرت حمادِ

ومن ينظر في هذه العبارة لا يشك في ان لفظة « جادله » أي « البخيل » منحوتة من عبارة « جامد الحال » او الارجح ان يكون منحوتاً من عبارة « جاد الكف » ، في اللسان ١٠٤ : ٤ سطر ١٣ « ورجل جاد الكف : بخيل » اهـ . فهو جادله ، وليس وراء هذا بيان

***

ألست ترى ان النحت اصل من اصول نشأة اللغة ، وانه لا يقل أثراً في تطورها من الاشتقاق ؟ وان في معاجمنا اللغوية من الالفاظ التي يمكن التدليل على أنها منحوتة ما لا يقع تحت حصر . وسوف نوالي البحث في هذا الامر حتى نحقق بالبرهان القاطع ان النحت اصل صحيح قياسي في بناء اللغة العربية